الكاتب: د.محمود محمد خلف
الجامعة الاسلامية- مينيسوتا
الولايات المتحدة الامريكية

عنوان المقال: **الصلات العلمية بين المشرق والمغرب الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى للهجرة-دراسة حضارية في التاثير والتاثر**

البريد الالكتروني:mahmoudkhalf141973@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/05/11 **تاريخ القبول:** 2020/05/29 **تاريخ النشر:** 2020/06/30

الصِّلَاتُ الْعِلْمِيَّةُ بَيْنَ الْمَشْرِقِ الْإِسْلامِيّ وَالْمَغْرِبِ الْإِسْلامِيّ خِلَالَ الْقُرُونِ الْأَرْبَعَةِ الْأُوْلَى لِلْهِجْرَةِ دِرَاسَةٌ حَضارِيَّةٌ فِي التَّأْثِيرِ وَالتَّأَثُّرِ

East and West during the first four centuries Scientific links between the Islamic of migration A Cultural Study in Mutual Influence

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ـ الموجز ـ إلقاء بعض الضوء على الرحلة العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي، تلكم العلاقة التي قامت على التأثير والتأثر بين الجانبين. وقد امتدت هذه العلاقة خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة، فكانت تشمل معظم العلوم الإسلامية؛ ومنها علوم القرآن الكريم، وعلم الحديث الشريف، وعلم الفقه، وعلم التاريخ، والتصوف الإسلامي. مكتفيًا بذكر نموذج واحد ـ على الأقل ـ في كل علم من هذه العلوم المذكورة خوف الإطالة.

وقد طبقتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائيَّ؛ من خلال جمع الأمثلة والنصوص التاريخية للوصول إلى الحقائق المنطقية؛ المتمثلة في وجود اتصال فكري قوي بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة.

وقد توصل البحث إلى بعض النتائج من أهمها: أن العلاقات الثقافية بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي كانت تقوم على التأثير والتأثر، فكل منهما انتفع بعلم الآخر وأثّر فيه. وهذا يؤكد أن الحركة العلمية لا تعرف الحدودَ المصطنعة بين الأوطان، ويثبتُ أن العلاقات الثقافية بين المشرقين والمغربين قد أثرت في باقي أمصار العالم الإسلامي، ومن ثم فقد شاركت فيها معظمُ البلدان الإسلامية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الرحلة العلمية ـ علم القراءات ـ علم الحديث ـ علم الفقه ـ علم التاريخ ـ علماء التصوف الإسلامي.

Research Summary

This paper discusses a scientific journey, between the Islamic East and West, which is based on the mutual and influence between the two sides. This relationship extended during the first four centuries of migration, and included most of the Islamic sciences such as the science of The Holy Quran, the science of Hadith, the science of jurisprudence, the science of history, and the Islamic mysticism. Due to the fear of prolongation, I have mentioned at least one model in each of these sciences.

In this research, I have applied the inductive method by combining historical examples and texts to reach logical facts that mainly focus on the existence of a strong intellectual connection between the two parts during the first four centuries of migration.

The research has reached some of the most important results: the cultural relations between the Islamic East and West were based on mutual influence as each benefited from the knowledge of the other and influenced it. This confirms that the scientific movement does not acknowledge the artificial boundaries between the homelands, and proves that cultural relations between the Islamic East and the West have influenced the rest of the Islamic world, and therefore were practised in most other Muslim countries.

Key words: the scientific journey - the science of readings - the science of Hadith - the science of jurisprudence - the science of history - the scholars of Islamic mysticism.

المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وبعد: فإن من أهم ما يميز طلاب العلم في الإسلام، رحلتهم العلمية من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر في سبيل طلب العلم، غير مبالين ما يعترضهم من مشقة وفقر، مع ما في السفر إذ ذاك من صعاب.

وكان المُحَدِّثون ـ والحق يقال ـ أنشط الناس لرحيل، وأصبرهم على عناء. وكما رحل علماء اللغة إلى البادية يدونون اللغة والأدب، ورحل الأدباء إلى نواحي الدولة الإسلامية يأخذون عن أدبائها، ورحل طلاب الفلسفة إلى القسطنطينية وغيرها في طلب كتب العلم، كذلك كان شأن الفقهاء الذين رحلوا للأخذ عن علماء مذهبهم. فكانوا يجمعون ما تفرق من الأحكام، وكان باعثهم الديني يذلل كل عقبة، ويسهل كل مشقة.

والواقعُ أن مصر قد شهدت نشاطًا علميًا بارزًا، نهض به علماء مصريون، وصارت مصر مركزًا لاجتذاب العلماء والطلاب من الأقطار المجاورة، من بلاد المغرب والأندلس تارة، ومن بلاد المشرق الإسلامي تارة أخرى.

وسوف أتناول في هذ البحث ـ الموجز ـ رحلة طلاب العلم بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي وأثر كل منهما في الآخر. فمما تجدر الإشارة إليه، أن هذه الرحلة لم تقتصر على علِم واحد بل شملت مختلف العلوم الإسلامية، فكان منهم القراء والمُحَدِّثون والفقهاء والمؤرخون، وبل وعلماء الصوفية أيضًا. لنثبت في النهاية أن طلبة العلم في الإسلام كانوا حلقة الوصل الحقيقية بين الأمصار الإسلامية، فأضحت العلاقة بين المشرق والمغرب قائمة على التأثير والتأثر، فكلاهما قد أخذ واستفاد من علم الأخر.

ولا غرابة في ذلك، فالعالم الإسلامي كان حينذاك ـ وما زال ـ يمثل وحدة واحدة في العقيدة واللغة والجنس. وما زال الأمل الأكبر في طلبة العلم لرأب الصدع الذي وقع بالأمة الإسلامية في عصورها الحديثة. فالغرض الرئيس من هذا البحث ـ إذًا ـ هو الدعوة إلى لَم شمل الأمة الإسلامية من خلال علمائها الثقات. فكما كانوا قوة في الماضي فإن فيهم الخيرَ والبركة في الحاضر.

أمَّا عن المنهج؛ فقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائيَّ الذي يعتمد على تقصي الجزئيات والقضايا العامة، والدراسة الشاملة؛ من خلال جمع الأمثلة والنصوص التاريخية للوصول إلى الحقائق المنطقية؛ المتمثلة في وجود اتصال فكري قوي بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي.

وقد حاولتُ الإيجاز قدر المستطاع، وإلا فالموضع يستحق أن يفرد له مُؤَلفٌ كاملٌ. والحمد لله رب العالمين.

أولًا: علماء القراءات:

كانت العلوم الدينية تحظى باهتمام المسلمين، فقد أقبل الناس على القرآن الكريم يفهمون معانيه، ويفسرون آياته، ويستنبطون منه الأحكام[1] وقد بدأت هذه الحركة في حياة

الرسول (ﷺ) ثم أخذت في الاتساع بعده، وقام أصحابه في الأمصار الإسلامية يعلمون الناس أصول دينهم، ونزل كثير من هؤلاء الصحابة في الأمصار الإسلامية، وتعلم على أيديهم الكثير، بل قل أنشأ كل منهم حركة علمية في البلد الذي أقام فيه، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم، فتخرج عليهم التابعون ثم مَنْ بعدَهم.

وكان القرآن الكريم أول ما يُبدأ به في طلب العلم، فبعد أن يحفظه الطالب جيدًا، يبدأ بعد ذلك في دراسة العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وأولها: علم القراءات[2] وهو علم يدور حول كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم. وقد نشأ بسبب خاصية الخط العربي، إذ أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يُقرأ بأشكال مختلفة تبعًا للنقط فوق الحروف أو تحتها. كما أن تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة أوجد اختلافًا في النطق بحروف القرآن الكريم.

ثم إن القرآن الكريم يشتمل ـ أصلاً ـ على ألفاظ القبائل العربية المختلفة بما فيها من عدنانية وقحطانية، وإن كانت ألفاظ قريش هي الغالبة، تليها هذيل وكنانة وحِمير وغيرهم من قبائل الجزيرة العربية. ولذلك اتفق بعد البحث والاستقصاء على قراءات معينة، أو ما سمي أيضًا بالتجويد، أُيدت بأحاديث نبوية، وروايات الصحابة والتابعين، وقصد من تنوعها التسهيل.

وقد يكون أساس التنوع أيضًا، بسبب اختلاف القراء في قراءة القرآن الكريم ومصاحف الصحابة قبل أن يصلهم مصحف عثمان بن عفانﷺ الذي كان خاليًا من النقط والشكل، حتى إن عثمان أطلق للناس القراءات على أي حرف وأية لهجة. وقد أصبحت هذه القراءات عِلمًا مدونًا توضع فيه المُصنَّفات، التي ربما صحبها الرسم لأوضاع الحروف، واعتبرت المعرفة بها فرضًا[3].

ومن أقدم القراء الذين جمعوا في رحلتهم العلمية بين المشرق والمغرب، الشيخ محمد بن علي بن محمد التجيبي[4]، كان بارعًا في قراءة ورش المصري[110 - 197 هـ / 728 - 812 م] عن نافع المدني[المتوفى عام: 169هـ /785 م] ، وكان غالب طلابه من بلاد المغرب والأندلس، ومن أشهرهم: أحمد بن محمد الأوريواني[5]. وللأسف، لم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عنه.

ومن القراء ـ أيضًا ـ الشيخ أحمد بن إسماعيل التجيبي ، الذي تصدر الإقراء بقراءة نافع في مصر[6]، فرحل طلاب هذا العلم من المغرب الإسلامي للأخذ عنه ، والسماع منه ، ومنهم : زكريا بن يحيى الأندلسي، الذي نجح في نشر هذه القراءة في بلاد الأندلس . قال أبو عمرو

الداني:" كان مقرئًا ، متصدرًا ، ضابطًا ، عرض على أحمد بن إسماعيل التجيبي، ولم يكن بالأندلس أضبط منه لقراءة نافع "[7].

صفوة القول: أن القراء كان لهم أثرٌ كبيرٌ ، وخيرٌ وفيرٌ في تعليم الناس علوم القرآن الكريم(علم القراءات) في العالم الإسلامي عامة ، وفي مصر خاصة ، وفي بلاد المغرب والأندلس على وجه أخص ، فقد رحل طلاب العلم إليهم من كافة الأقاليم ليتعلموا منهم، ويأخذون القراءة عرضًا عنهم. وعندما عاد هؤلاء الطلاب إلى أوطانهم تصدروا الإقراء في هذه البلاد، وعن طريقهم دخلت قراءة ورش ـ وما زالت ـ إلي بلاد المغرب والأندلس.

ثانيًا: المُحَدِّثون:

كان المُحَدِّثون ـ والحق يقال ـ أنشط الناس لرحيل، وأصبرهم على عناء. ذلك أن الصحابة عند الفتح الإسلامي تفرقوا في الأمصار، فمنهم مَن سكن فارس، ومَن سكن العراق، ومَن سكن مصر، ومَن سكن الشام؛ وكان هؤلاء يحملون حديثًا عن رسول الله ﷺ أخذه عنهم التابعون ومن بعدهم، فكان في كل مصر طائفة من الحديث لا تعرف في الأمصار الأخرى، فجد العلماء في الرحلة يأخذون الأحاديث عن أهلها، ويجمعون ما تفرق منها، وكان باعثهم الديني يذلل كل عقبة، ويسهل كل مشقة.

عرَّف العلماء علم الحديث بأنه :" كل ما ورد عن الرسول (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير"[8]. وبعد عصر الرسول (ﷺ) ضُم إلى الحديث ما ورد عن الصحابةﷺ، فهم الذين عاشروا الرسول (ﷺ) وسمعوا منه، وشاهدوا أعماله، ثم حدثوا بما رأوا وبما سمعوا. ثم جاء التابعون فعاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا. فكان من الأخبار عن رسول الله(ﷺ) وأصحابه ما عرف باسم " الحديث"[9].

ولستُ هنا بصدد الكلام عن قصة تدوين الحديث[10]، والذي يهمني هنا القول: إن علم الحديث كان له أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي، حيث أقبل الناس عليه يتدارسونه، وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه. حيث رحل طلاب العلم إليه من أقصى الدولة الإسلامية، وطوّفوا ببلدان العالم الإسلامي، يأخذون عن علمائهم ومشايخهم. ولا تكاد تقرأ ترجمة أحد من المُحَدِّثين إلا وتجد فيها جزءًا كبيرًا من حياته يتضمن رحلته العلمية.

ولا غرابة في ذلك، فلم يكن الرواة في تاريخ الثقافة الإسلامية بالعدد القليل، فإنهم يزيدون على ستين بالمائة من رجال العلم والفكر. وأستطيع القول: إنا لا نكاد نجد " عالمًا" لم يشارك من قريب أو بعيد في حمل الحديث وروايته، فقد كان ذلك فخرًا علميًا لا يهمله إلا الأقلون، وكان لقب" الحافظ" من أجل الألقاب التي يحملها عالم.

إن مصر في عصر الولاة [21 ـ 254هـ/ 641 ـ 868م] قد شهدت نشاطًا علميًا بارزًا، نهض به علماء مصريون وغير مصريين، وصارت مصر مركزًا لاجتذاب العلماء والطلاب من الأقطار المجاورة، ويأتي في مقدمتها بلاد المغرب والأندلس، فأثرت مصر على سكانها في العلوم الدينية، والتي يأتي في مقدمتها علم الحديث.

ومن التابعين المُحَدِّثين: حبيب بن الشهيد القتيري، المعروف بأبي مرزوق التجيبي. كان من أساطين أهل العلم في زمانه، ولا غرابة فقد سمع من فضالة بن عبيد(المتوفى عام: 53 هـ / 673 م)، وحنش الصنعاني(المتوفى عام:100 هـ/ 718 م)، وسهل بن عُلية، والمغيرة بن أبي بردة[11] (المتوفى عام:105 هـ/ 723 م تقريبًا)، وغيرهم.

كانت له رحلة طويلة في طلب العلم، فدخل دمشق وافدًا على الخليفة عمر بن عبد العزيز(61 - 101 هـ/781 - 720 م) ، وسمع منه ، ودارت بينهما مناظرة طويلة فيما يقع من ألفاظ الطلاق[12]. عاد بعد هذه الرحلة إلى مصر، فعمت شهرته الآفاق، فالتف كثير من طلاب العلم حوله للأخذ عنه من أمثال: يزيد بن أبي حبيب(53 - 128 هـ / 673 - 745 م)، وجعفر بن ربيعة، وسالم بن غيلان، وسليمان بن أبي زينب[13]، وقائمة يطول الحديث بذكرها.

لم تطل إقامة حبيب بمصر كثيرًا، ثم خرج إلى برقة ليعلم أبناءها العلم الشرعي، فالتف الناس حوله ـ أيضًا ـ للأخذ عنه ، حتى عُرف بـ:" فقيه أهل المغرب"[14]. قال أحدهم:" كان أبو مرزوق يفتي ببرقة كما يفتِي يزيد بن أبي حبيب بمصر"[15].

كان حبيب ثقة، ثبتًا ، ورعًا[16]. روى له أبو داود، وابن ماجة ، وأبو جعفر الطحاوي[17]. توفى ببرقة سنة (109هـ/727م)، وكان له بها عقب[18].

ومن أشهر مَن المُحَدِّثين الذين جمعوا في رحلتهم العلمية بين المشرق والمغرب، الإمام سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن، المكني بأبي علي المصري، المشهور بالبزاز، لعمله في تجارة البز[القماش]. ولد في سنة [294 هـ / 907 م][19] ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم رُزق حب الحديث منذ صغره ، فسمع بمصر من محمد بن أيوب الصموت، ومحمد بن زبان، ومحمد بن بشر العكري، وأبا جعفر الطحاوي[20] وغيرهم. ثم طوَّف في بلدان العالم الإسلامي، فدخل

بغداد[21] و واسط [22]، والأبلة، والبصرة ، والكوفة، ودمشق[23]، ونيسابور، ومرو ، وسرخس[24]. ثم عبر نهر جيحون، ليضع أقدامه ببلاد ما وراء النهر، فدخل بخارى في ظل الدولة السامانية[261 ـ 389هـ/ 874 ـ 999م]، وسمع بها " الجامع الصحيح " للإمام البخاري ، برواية محمد بن يوسف الفربري[25] ثم عاد بعد هذه الرحلة الطويلة إلى مسقط رأسه مصر[26].

كانت رحلة ابن السكن إلى بلاد ما وراء النهر رحلة مباركة، أسفرت عن نتائج خطيرة في دراسة علم الحديث ليس في مصر وحدها، بل في بلاد المغرب الإسلامي كله. فقد تعرف المصريون لأول مرة على كتاب " الجامع الصحيح " للإمام البخاري، الذي انفرد ابن السكن بسماعه من الفربري. يقول الذهبي: " سمع ابن السكن صحيح البخاري من محمد بن يوسف الفريري ، فكان أول مَن جلب الصحيح إلى مصر ، وحدث به "[27].

كان من الطبيعي أن يلتف طلاب العلم حول ابن السكن للسماع منه ، خاصة إنه كان " كبير الشأن، مكثرًا ، متقنًا ، مُصَنِّفًا ، بعيد الصيت" كما يقول ابن تغري بردي[28]. يضاف إلى ذلك إنه " جمع ، وجَرَّح ، وعَدَّل ، وصَحَّح ، وعَلَّل"[29]، ورُزق حُسن الصوت وجمال الأداء وقوة الذاكرة. كل هذه المقومات العلمية، جعلت طلاب العلم يلتفون حوله، فكان من أشهرهم: أبو سليمان بن زبر الربعي، وأبو عبد الله بن مَنَده ، وعبد الغني بن سعيد، وعلي ابن الدقاق[30]. بل رحل إليه كثير من طلاب العلم من بلاد المغرب والأندلسي للأخذ عنه؛ يأتي في مقدمتهم: أبو القاسم خلف بن القاسم بن سهل الأندلسي، ومحمد بن أحمد بن محمد بن مفرج الأندلسي، وأبو محمد عبد الله بن محمد الجهني الأندلسي[31]، وعبد الله بن محمد بن أسد القرطبي، والقاضي محمد بن أحمد بن مفرج ، وغيرهم. قال الذهبي:" ولم نرَ تواليفه، هي عند المغاربة، وحديثه يعز وقوعه لنا"[32]، وقال في موضع آخر:" وتلامذته جماعة من الأندلسيين والمصريين"[33]. وهذا يثبت أن ابن السكن كان جسرًا ثقافيًا عبر عليه علم الحديث ـ خاصة صحيح الإمام البخاري ـ من بلاد ما وراء النهر إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب والأندلس.

لم يكتفِ ابن السكن بالتعليم وسماع الطلاب منه ، بل صَنَّف كُتبًا هامة في علوم الحديث المختلفة، ومنها:

أ- كتاب:" الصحيح المنتقى"[34] المعروف بـ " السنن الصحاح " أو" السنن في الحديث"[35]. وهو كتاب محذوف الأسانيد، جعله أبوابًا في جميع ما يحتاج إليه من الأحكام ، فمنه ما صح عنده من السنن المأثورة. قال في مقدمته:" وما ذكرته في كتابي هذا

مجملًا فهو مما أجمعوا على صحته، وما ذكرته بعد ذلك مما يختاره أحد من الأئمة الذين سميتهم، فقد بَنيتُ حجته في قبول ما ذكره ونسبته إلى اختياره دون غيره. وما ذكرته مما ينفرد به أحد من أهل النقل للحديث فقد بَينتُ علته ودللت على انفراده دون غيره "[36].

ب- كتاب:" معرفة أهل النقل"، قال عنه ابن عساكر: " ورأيتُ له جزءًا من كتاب كبير صَنَّفه في معرفة أهل النقل، يدل على توسع في الرواية"[37].

هذا، ويعد الكتاب الأول، أعني " الصحيح المنتقى" أهم كتب ابن السكن على الإطلاق[38] ، ويرجع سبب تأليف هذا الكتاب؛ إلى أن جماعة من شباب المُحِّدثين طلبوا منه الاقتصار على كتاب واحد من كتب السُّنَن، فدخل " إلى بيته وأخرج أربع رزم ، ووضع بعضها على بعض، ثم قال: هذه قواعد الإسلام؛ كتاب البخاري، وكتاب مسلم، وكتاب أبي داود، وكتاب النسائي[39]. ثم شرع في تأليف كتابه، رغبة منه في تسهيل علم الحديث على الناس عامة، وشباب المُحِّدثين خاصة.

على كل، لقى هذا الكتاب قبولًا عظيمًا عند أهل العلم وخاصة الأندلسيين منهم. لذا قال الذهبي:" وقع كتاب المنتقى الصحيح [هكذا] إلى أهل الأندلس، وهو كبير"[40]. وكان ابن حزم الأندلسي[384 ـ 456 هـ / 995 ـ 1063م] يثني على هذا المُصَنَّف[41]. وهذه شهادة لها ثقلها، خاصة إذا صدرت من مثل ابن حزم.

صفوة القول، أن ابن السكن، المصري المنشأ، رحل إلى بلاد ما وراء النهر ثم عاد إلى مصر، وأهدى إلى طلابها كتاب " الجامع الصحيح " للإمام البخاري. هذا الكتاب الذي ظل مجالاً للبحث والتأليف عدة قرون، بل عبر من مصر إلى بلاد المغرب والأندلس. ولا غرابة ، فقد كان ابن السكن " حجة في علم الحديث " كما قال أحد المؤرخين[42].

توفى ـ رحمه الله تعالى ـ في المحرم سنة [353 هـ / 964 م] ودفن بالقرافة الصغرى بجبل المقطم[43] في أرض مصر التي عاش فيها ، ونشر علمه بين أهلها ، فأعطته الشهرة والثقة.

ثالثًا: فقهاء المالكية:

المالكية: نسبة إلى مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة. كان مولده ووفاته بالمدينة [93 ـ 179 هـ / 712 ـ 795 م][44]. انتشر مذهبه بين أهل المغرب والأندلس[45]. أما في بلاد المشرق فلم يظهر بها أحد ممن ينشر مذهبه ويتفقه به، وذلك لإقامة كثير من تلاميذه بمصر وتونس ، وسرى هذا المذهب منهما إلى كل البقاع في غرب أفريقيا[46].

كان لمصر اتصالٌ قويٌ بالحجاز منذ الفتح الإسلامي، لأن الحجاز كان مركز الخلافة أيام الخلفاء الراشدين، ثم دام الاتصال بالرحلة إلي الحج ، وزيارة المسجد النبوي. فمن ثم كان مذهب الإمام مالك أول ما صادف المصريون من تلك المذاهب فأقبلوا عليه ولم يكونوا يعرفون غيره. وذلك على عكس المشرق الإسلامي، الذي كان اتصاله بمركز الخلافة ببغداد، ومن المعروف أن بغداد كانت مركز المذهب الحنفي، ومن ثم فقد عملوا على نشر المذهب الحنفي في العراق والأمصار القريبة منه مثل خراسان وما وراء النهر.

من أشهر فقهاء المالكية في مصر خلال عصر الولاة، أحمد بن موسى بن مخلد الغافقي: ولد سنة(207هـ/ 822م) بالفسطاط ، وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم رحل في طلب العلم إلى بلاد المغرب العربي، فنزل بمدينة القيروان[47]، وأقام بها فترة ليست بالقصيرة، لازم فيها الإمام سحنون بن سعيد(160 - 240 هـ / 777 - 854 م) حتى صار من أخص تلامذته. كما سمع من أقرانه من أمثال: عبد العزيز بن يحيى المدني، وهارون بن سعيد الأيلي، وأبي إسحاق البرقي، وغيرهم[48].

انتفع أحمد بما سمع من العلم، فكان زاهدًا ، ورعًا، متعبدًا، فاضلاً ، ثم صار مضرب المثل بين أقرانه ، مما جعل طلاب العلم يرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه ، ومنهم: أبو القاسم بن تمام، وعبد الله بن مسرور، ومحمد بن يونس السدري، ولقمان بن يوسف. ويطول بي المقام لو ذكرت جميع تلامذته، وأكتفي بما قاله القاضي عياض:" وتلامذته غير واحد من الأجلة ، وعالم كثير"[49].

ومن الجدير بالذكر، أن الإمام أحمد عُرِض عليه القضاء ، فأبى خوفًا من أن يظلم أحدًا، أو يميل بفتواه إلى الولاة، ولكنه اكتفى بالتعليم، فسطع نجمه في سماء العلم، وذاع صيته بين الفقهاء، حتى قال ابن فرحون عنه:" كان فقيهًا، عالمًا، ثبتًا، ضابطًا، حسن التقييد"[50].

وعلى الرغم من كل هذا العلم الذي حصله الإمام أحمد، لم يترك لنا مُصَنَّفًا واحدًا يحمل اسمه. ولكن ذكرت لنا كتب طبقات المالكية كثيرًا من المسائل الفقهية التي وجهت إليه من بعض تلامذته، نلمح فيها زهده و ورعه وشفقته على الناس، مع القطع في الإجابة، والتعبير بأقل الألفاظ التي تصل إلى مسامع السائلين، مع وضوح المعنى، وجزالة الأسلوب، وسهولة العبارة.

ظل الإمام أحمد الغافقي يعلم الناس في مسجد القيروان أمور دينهم، حتى توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة(275هـ/ 888 م)، ودفن بالقيروان[51].

صفوة القول: أن الفقيه أحمد الغافقي كان له قصب السبق في الرحلة لطلب العلم وعن طريقه انتقل فقه المالكية إلى بلاد المغرب والأندلس.

رابعًا: المؤرخون:

كان بجانب الحركة الدينية ـ التي ظهرت في أعقاب الفتح الإسلامي ـ لمصر حركة تعني بتدوين أحداث التاريخ ، وتسلك في منهجها مسلك المحدثين. فقد كان علم التاريخ عند المسلمين يهدف في البداية إلى دراسة سيرة النبيﷺ وأعمال الصحابةﷺ والجماعة الإسلامية الناشئة وأخبار الغزوات والجهاد. وهكذا نرى أن طبيعة علم التاريخ لم تكن تختلف أولاً عن طبيعة علم الحديث، اللهم إلا في هدف كل منهما، ونوع الروايات التي يعنى بها، فالمحدثون يعنون بالروايات التي تقرر مبادئ فقهية. بينما يعني المؤرخون بالروايات التي تتجه إلى سرد الحوادث. وحسبنا دليلاً على اشتراك العِلْمين في المصادر والمنهج؛ أن كل جيل كان يأخذ الروايات عن الجيل الذي سبقه، وأن المتن في كل رواية كان مسبوقًا بالسند أو الإسناد. ولذلك نرى أن منهم مَنْ تخصص في التاريخ إلى جانب دراسته في الحديث أو الفقه[52].

وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نميز بين ثلاثة أنواع من الروايات التاريخية، التي ظهرت خلال تلك المرحلة، وهي: التاريخ السياسي، وفن القصص، وفن السير. ولا يعني ذلك انفصال المادة العلمية بين الأقسام الثلاثة انفصالاً تامًا كما هو معروف حاليًا. ولكنه يعد بداية لهذا النوع من الكتابات التاريخية التي ظهرت فيما بعد.

ومِن أقدم مَن اشتغل بالكتابة التاريخية، خالد بن أبي عمران التجيبي، الذي اشتغل في بداية حياته بعلم الحديث، فخرج في رحلة طويلة سمع فيها من أساطين أهل العلم في زمانه ـ خاصة آل عمر بن الخطاب ـ ، فسمع عبد الله بن عمر، وسالم ابنه، ونافع مولاه. كما روى عن عروة بن الزبير، وحنش الصنعاني، والقاسم بن محمد، وعكرمة مولى ابن عباس[53]، وغيرهم.

وهي قائمة كبيرة ولاشك ، فكل واحد من هؤلاء الأعلام يمثل مدرسة علمية قائمة بذاتها، وتدل ـ في نفس الوقت ـ على مدى سعة علم خالد، واجتهاده فيمن يأخذ عنه هذا العلم.

عاد خالد إلى الفسطاط وقد جمع علم هؤلاء الأعلام الكبار الثقات ، المشهورين بالرواية في علم الحديث والتاريخ. فكان من الطبيعي أن يلتف طلاب العلم حوله للأخذ عنه، والسماع منه، خاصة وقد انفرد بالرواية عن آل الخطاب. فسمع منه كثير من الطلاب ؛ الذين

صاروا أعلام بعد ذلك ، من أمثال : يحي بن سعيد الأنصاري، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، وعبد القاهر بن عبد الله [54]، وقائمة كبيرة يطول الحديث بذكرهم.

هكذا ، أصبح خالد التجيبي علمًا من أعلام المدرسة المصرية في علم الحديث والتاريخ، فأثنى عليه علماء الجرح والتعديل، بقولهم:" ثبت، ثقة"[55].

وبالرغم من كل هذه الشهرة التي حققها الإمام خالد في مصر، إلا أنه عنَّ له[56] السفر إلى إفريقية[57] لينشر علمه في ربوع تلك البلاد ؛ التي كانت في حاجة شديدة إليه ، فالتف الناس حوله، ينهلون من خُلقه قبل علمه. وبعد فترة قليلة ولى منصب القضاء، فحمدت سيرته، وأثنى عليه الناس ، حتى صار يلقب بـ"فقيه إفريقية، ومفتي مصر والمغرب"[58].

ونظرًا لهذه المكانة التي وصل إليها فقد روى له أصحاب السُّنَن[59]. وبعد رحلة طويلة من العطاء، والعيش في رحاب العلم ، رحل الإمام سنة(125هـ / 742م) وقيل: سنة(129هـ /746م) ودفن بإفريقية[60] التي صارت سكنًا ومستقرًا له في آخر عمره.

ومما يجب علينا ذكره، الإشارة إلي الجانب التاريخي في حياة الإمام خالد بن أبي عمران التجيبي، والمتمثلة في المرويات التاريخية التي حفظتها لنا بعض المصادر التاريخية ، والتي يمكن تقسيمها كالتالي:

1. فيما يتعلق بحضارات الشعوب القديمة، فقد وصلنا خبر واحد عن قصة مدينة إرم ذات العماد[61] ، وصلتنا عن طريق ابن لهيعة ، عن خالد التجيبي عن وهب بن منبه[62].

2. الروايات المتعلقة بالسيرة النبوية ـ وهي أكبرها ـ ومعظمها يدور حول ميلاد النبي(ﷺ)، وبعثته[63]، وتفاصيل فتح خيبر، وتقسيم الغنائم[64]، والدعاء المأثور عنه(ﷺ) في ختام المجلس[65]، وتاريخ وفاته ..... إلخ.

3. الروايات المتعلقة بعصر الخلفاء الراشدين ، ومن عاصرهم من الصحابة. ومنها تفاصيل معركة " ذات الصواري"[66]، وأخبار عبدالله بن عمر وكيفية حجه لبيت الله الحرام[67] ، وعبد الله بن الزبير[68]، وعتبة بن غزوان السلمي ، وجهاده مع النبي(ﷺ)[69]، وعبدالله بن سلام[70].

4. أما فيما يتعلق بأخبار الدولة الأموية ، فلم يَذْكر إلا خبرًا واحدًا ، ونصه: " عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حذيفة بن اليمان ، قال: يكون بعد عثمان اثنا عشر ملكًا من بني أمية ، قيل له: خلفاء، قال: لا بل ملوك"[71].

صفوة القول، أن خالد بن أبي عمران قد اشتغل إلى جانب علم الحديث بعلم التاريخ الإسلامي، وأصبح علمًا من أعلام المدرسة المصرية في هذا المجال، وأن السيرة النبوية قد شغلت الجزء الأكبر من مروياته التاريخية. ولا غرابة في ذلك فهو تلميذ عروة بن الزبير[72] ؛ المؤسس الحقيقي لمدرسة المغازي والسير. وقد وصلتنا معظم هذه الأخبار عن طريق أشهر تلامذته ابن لهيعة ، والذي يعد من عماد المدرسة التاريخية المصرية لمن جاء بعده ، كالمقريزي والسيوطي وابن تغري بردي، وغيرهم.

ومن المؤرخين ـ أيضًا ـ حيي بن هانئ بن ناضر، أبو قُبَيْل المعافري المصري(المتوفى عام:128هـ / 746م): نشأ باليمن، وكان صغيرًا يوم مقتل عثمان بن عفانﷺ [35هـ/ 656م] ، ثم قدم إلى مصر في خلافة معاوية بن أبي سفيانﷺ[73]، وشارك في غزو جزيرة رودس مع جنادة بن أبى أمية، والمغرب مع حسان بن النعمان[74]، ثم استقر بمصر. سمع مجموعة كبيرة من أعلام الصحابة؛ منهم: أبو عثمان الأصبحي، نزيل مصر[75]. والسائب الغِفْاري، صحابي نزل مصر وعاش فيها[76]. وعبيد بن مخمر المعافري، يكنى أبا أمية؛ قال ابن يونس:" له صحبة وشهد فتح مصر"[77]. ومسلمة بن مُخَلد الأنصاري الخزرجي[78]، وغيرهم. ومَن يُمعن النظر في قائمة شيوخ أبي قُبَيْل نجدها قد ضمت كثير من الصحابة الذي شاركوا في فتح مصر، وكانوا المصدر الأول له في رواية هذه الأحداث.

هذا، وقد حظى أبو قُبَيْل بثقة العلماء، قال أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو زرعة:" ثقة"[79]. وقال أبو حاتم: "صالح الحديث"[80]، وقال السيوطي:" وكان له علم بالملاحم والفتن"[81]. توفى بالبرلس[82]. روى له البخاري في أفعال العباد، وأبو داود ، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وكان شجاعًا دينًا متواضعًا، يخرج إلى السوق يلي شراء حاجته بنفسه[83].

تتلمذ أبو قبُيْل على يد عبدالله بن عمرو بن العاص، وانفرد بروايات الملاحم والفتن حتى صار رأس المدرسة المصرية في هذا النوع من الكتابة التاريخية، واستمرت مدرسته في مصر ـ كما يقول الدكتور شاكر مصطفى ـ من بعده أكثر من قرنين[84]. والمرويات التي نقلها ابن عبد الحكم عنه قد تكون مأخوذة من كتابه المفقود المسمى" فتوح مصر"[85].

خامسًا: علماء الصوفية:

إن علم التصوف الإسلامي نشأ في كنف العلوم الدينية، ولكنه اختص بجانب الأخلاق والسلوك. يقول العلامة ابن خلدون:" علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في

الملة، وأصله عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها"[86]، فالتصوف أساسه الخُلق، لأن الأخلاق هي روح الإسلام. قال ابن قيم الجوزية:" اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخُلق"[87]، ويقول الكتاني:" التصوف خُلق ، فمن زاد عليك في الخُلق، زاد عليك في الصفاء "[88].

ومن أشهر أقطاب الصوفية الذين جمعوا في رحلتهم بين المشرق والمغرب، على بن بندار بن الحسيني، المكني بـ" أبي الحسين ـ وقيل أبي الحسن ـ الصيرفي"[89]، أصله من نيسابور. رُزق منذ صغره ـ كما يقول السُّلمي في طبقاته[90] ـ بمحبة المشايخ وصحبتهم، فسمع ببلده : سعيد بن إسماعيل الحيري، ثم عنت له الرحلة للأخذ عن العلماء، فطوف بإقليم خراسان، فسمع ببلخ: محمد بن حامد البلخي، ومحمد بن محمود بن أبي مطيع البلخي. وبمرو: سمع من قطبها يوسف بن موسى. وبالجوزجان: أخذ عن أبي علي الجوزجاني، وأبي العباس بن عطاء، وأبي محمد الجريري[91]، ولم يمكث في بوشنج طويلاً، فقد رحل عنها بعد أن سمع من شيخها أبي عبد الله البوشنجي[92]. ثم دخل الري: وأخذ من علمائها، ومن أشهرهم: يوسف بن الحسين[93].

وبعد هذه الرحلة الطويلة في إقليم خراسان والري، كان من الطبيعي أن يرحل على بن بندار إلى بلاد ما وراء النهر، التي ذاع صيتها في عالم التصوف خاصة بعد أن برز فيها أقطاب الصوفية الكبار؛ من أمثال : الحكيم الترمذي [محمد بن علي بن الحسن، المتوفى في عام: 175 هـ / 791 م]، وأبى تراب النخشبي [المتوفى في عام: 245 هـ / 859 م]، والحسين بن منصور الحلاج [المتوفى في عام: 309 هـ / 921 م]، وأبى بكر الشبلي [دُلف بن جحدر، المتوفى في عام: 334 هـ / 945 م]، وغيرهم من الأعلام الذين كانت لهم بصماتهم الواضحة في علم التصوف الإسلامي، والتي لا يستطيع أحد إنكارها.

على كل حال، دخل علي بن بندار بلاد ما وراء النهر مُتعلمًا، فأخذ عن أقطابها، من أمثال: محمد بن الفضل السمرقندي، وعمر بن محمد بن بَجير السمرقندي[94]. وفي بخارى سمع من عالِمها أبي سعيد حاتم بن محمد البخاري، كما زار مدينة ترمذ[95]، التي أخرجت لنا أقطاب الصوفية الكبار، وسمع من محمد بن أحمد بن يحيى الترمذي[96]، وغيره من أعلام هذه المدينة.

وبعد هذه الجولة التي ليست بالقليلة، واصل علي بن بندار رحلته، ولكن في هذه المرة كانت إلى حاضرة الدنيا مدينة بغداد، فسمع من القطب الأوحد، ذائع الصيت في زمانه؛ الإمام الجُنْيد البغدادي [المتوفى في عام: 297 هـ / 909 م] الذي قال عنه أبو العباس بن عطاء: " إمامنا في هذا العلم [التصوف] ومرجعنا والمقتدى به؛ الجُنْيد"[97]، كما أخذ عن رويم بن أحمد، وسمنون المحب، وأبي العباس بن عطاء، وأبي محمد الجريري[98]، وغيرهم .

ومن بغداد رحل علي بن بندار إلى بلاد الشام، فدخل دمشق وسمع بها أبا عمر الدمشقي، وطاهر المقدسي، وأبا الحسن بن جوصا، وأبا عبد الله بن أحمد بن يحيى الجلاء[99]. ثم توجه إلى حلب فسمع من قطبها عبد الرحمن بن عبد الله الهاشمي الحلبي، وفي أنطاكية أخذ عن الفضل بن الحارث الأنطاكي، ووصيف ابن عبد الله الحافظ الأنطاكي. ثم تحول إلى طرسوس وسمع من محمد بن علي بن سعيد المركب الطرسوسي[100]، وغيرهم.

بعد هذه الرحلة الطويلة، أصبح من الضروري أن يتوجه علي بن بندار إلى مصر، التي كانت لا تقل شهرة في عالم التصوف ـ إن لم تزد ـ عن بغداد، وعن بلاد ما وراء النهر. وكأنه أراد أن يجمع في رحلته بين شيوخ بلاد ما وراء النهر وشيوخ مصر. وعلى كل، فقد سمع من أبي بكر الدقاق[101]، وأبى علي الروذباري، وأبى بكر المصري[102]، وغيرهم من أعلام التصوف المصري.

هكذا، رأينا على بن بندار الصيرفي، يرحل من المشرق إلى المغرب مطوَّفًا بمعظم الأمصار الإسلامية، متحملاً مشاق الرحلة وطول المسافة. ولكن هذا لا يمنع أن الرجل قد أجهد نفسه في لقاء المشايخ والأخذ عن أقطاب الصوفية في زمانه. قال عنه صاحب طبقات الأولياء: " ورُزق من رؤية المشايخ وصحبتهم ما لم يرزق غيره"[103].

وكأني بالشيخ علي بن بندار قد نحا منحى جديدًا في عالم التصوف، مؤداه إنه لابد من الرحلة للأخذ عن مشايخ الصوفية وأقطابها ـ وذلك على غرار ما كان يفعله المُحَدِّثون ـ ولا غرابة في ذلك، لأن الشيخ علي بن بندار قد بدأ حياته محدثًا. قال صاحب " طبقات الصوفية ": " كتبَ الحديث الكثير، ورواه ، وكان ثقة "[104]. وقال الجامي : " كان كثير الحفظ للحديث، وفقْه فيه"[105]. بل يحدثنا عن نفسه:" إنه عندما دخل دمشق للأخذ عن شيخه الصوفي أبي عبد الله بن الجلاء، تأخر عنه ثلاثة أيام، وعندما سأله عن سبب التأخير، قال:" ذهبت إلى ابن جوصا[106][المحدث] ، وكتبتُ عنه الحديث "[107] فقال الشيخ : شغلتك السُّنة عن الفريضة"[108]. قال الشيخ الهروي معلقًا على هذا الكلام: " رؤية المشايخ فرائض القوم، لأنهم في رؤيتهم يجدون شيئًا لا يجدونه في غيرهم"[109].

وهكذا ، يتضح لنا أن الشيخ علي بن بندار ، كان يشغله علم الحديث وطلبه والأخذ عن المحدثين. قال ابن عساكر: " وكان من الثقات في الرواية، وعقد المجلس يملي سنين"[110]. وقال عنه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري:" من الثقات في الرواية وأملى مدة "[111].

ومن لطيف كلامه: " فساد القلوب على حسب فساد الزمان وأهله"[112] وقال:" دار [الدنيا] أُسست على البلوى، بلا بلوى محال"[113]. وعرف الصوفية بأنها: " إسقاط رؤية الخلق ظاهرًا وباطنًا"[114].

خلاصة القول: إن الشيخ علي بن بندار بدأ حياته محدثًا، وانتهى به الحال صوفيًا، جمع في رحلته بين بلاد المشرق والمغرب. وأدعى أنه واضع حجر الأساس للصوفية للرحلة للأخذ عن أقطابهم.

ذاع صيت ابن بندار في العالم الإسلامي، بصفته قطب من أقطاب التصوف، فرحل إليه الطلاب للأخذ عنه، ومن أشهرهم: سعيد بن عبد الله بن أبي عثمان، وأبو نصر الطوسي، وأبو عبد الرحمن السّلمي، والحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري، وأبو جعفر كامل بن أحمد العزائمي[115]، وأبو سعيد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الواعظ ، وأبو يعلي حمزة بن عبد العزيز المهلبي، وابنه : أبو القاسم محمد بن علي[116]، وغيرهم.

مع عظيم جهد علي بن بندار، وطول رحلته وكثرة شيوخه الذين سمع منهم، إلا أنه لم يترك لنا مُصَنَّفًا يحمل اسمه حتى نقف على أفكاره. توفى ـ رحمه الله تعالى ـ عام [359هـ/969 م][117]، وقيل: سنة [357 هـ / 967 م][118].

الخاتمة وأهم نتائج البحث

ختامًا، هناك عدة نتائج مهمة توصل إليها هذا البحث، أُوجزها فيما يلي:

أولًا: أثبت البحث أن الرحلة العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي، كانت قديمة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الإسلامي. فقد بدأت هذه العلاقة ـ وما زالت ـ منذ الفتح الإسلامي لهذه الأقطار حتى القرن الرابع الهجري.

ثانيًا: أثبت البحث ـ بما لا يدع مجالًا للشك ـ أن الرحلة العلمية ـ لطلاب العلم ـ بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي، لم تقتصر على علم واحد بل شملت علومًا عدة، فكان منها: القراء، والمحدثون، والفقهاء، والمؤرخون، بل والمتصوفة أيضًا. وكان طلاب العلم يرحلون من المشرق إلى المغرب ـ والعكس ـ في سهولة ويسر. باعثهم الديني وحبهم لنشر العلم كان الدافع

الرئيس لهم في تحمل كل هذه الصعاب، مع ما كانت تقدمه الحكومات الإسلامية ـ حينذاك ـ من خدمات عامة مثل تمهيد الطرق وتوفير سبل الراحة للمسافرين.

ثالثًا: أن مصر ـ بحكم موقعها الجغرافي، والحق يقال: ـ كانت حلقة الوصل الحقيقية بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي؛ مما أدى إلى ازدهار الحركة العلمية بها. فقلما تجد طالب علم كانت له رحلة علمية من المغرب إلى المشرق إلا ودخل مصر وأخذ عن علمائها وشيوخها. ولا غرابة في ذلك فإن بعض الجغرافيين العرب قد صنف مصر ضمن بلاد المغرب الإسلامي.

رابعًا: إن كان المشرق الإسلامي قد أهدى إلى المغرب الإسلامي قراءة ورش المصري عن نافع المدني، فإن المغرب الإسلامي قد حافظ على هذه الهدية الثمينة. ودليل ذلك، أنه ما زال يُقرأ بها في بلاد المغرب العربي، بل ويتصدر أهلُه الإقراءَ بها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

خامسًا: إن كان المشرق الإسلامي قد أسدى للأمة الإسلامية معروفًا، بظهور كتاب:" الصحيح المنتقى" في الحديث النبوي لابن السكن المصري، فإن كل الفضل يرجع لأهل المغرب الإسلامي في تدريس هذا الكتاب وتعليمه لفترات طويلة، وبذلك حافظت على هذا الكنز الثمين من الضياع، وذلك بشهادة علماء المشرق الإسلامي أنفسهم.

سادسًا ـ وأخيرًا ـ : أثبت البحث أن كلا من المشرقين والمغربين قد حافظ على تراث الأمة الإسلامية من الضياع وخاصة في علمي الفقه المالكي والتصوف الإسلامي. فإن كانت نشأة كلا العلِمين مشرقة، فإن المحافظة والحفظ والانتشار كانت ـ وما زالت ـ مغربية، وفي كلٍ خيرٌ.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية:

1. البغدادي:(عبد المؤمن بن عبد الحق، الحنبلي، المتوفى عام: 739هـ/ 1338م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، الطبعة: الأولى، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ/1991م.
2. ابن تغري بردي: (أبو المحاسن يوسف الأتابكي، المتوفى عام: 874هـ / 1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة: الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،2007م.
3. الجامي:(أبو البركات عبد الرحمن الجامي، المتوفى عام: 898هـ / 1492م): نفحات الأنس من حضرات القدس، نقله عن الفارسية: تاج الدين محمد بن زكريا بن سلطان القرشي، الطبعة: الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010م.

4. ابن الجزري:(محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي، المتوفى عام: 833هـ/ 1429م): غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.
5. ابن الجوزي: (عبد الرحمن بن على بن محمد بن على البغدادي، المتوفى عام:597هـ/1201م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1412هـ / 1992م.
6. ابن حجر:(أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى عام: 853هـ/ 1449م): تهذيب التهذيب، الطبعة: الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، 1404 هـ / 1984 م .
7. الحِميري :(محمد بن عبد المنعم الصنهاجي، المتوفى عام: 900 هـ/ 1495 م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة: الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980 م.
8. الخطيب البغدادي:(أبو بكر أحمد بن ثابت، المتوفى عام: 463هـ /1037م): تاريخ بغداد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1422 هـ /2001 م.
9. ابن خلدون :(عبد الرحمن بن خلدون، المتوفى عام: 808هـ / 1405م): المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الطبعة: الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م.
10. ابن خلكان: (أحمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفى عام: 681هـ / 1383م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. مريم قاسم طويل، وآخرين، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
11. الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى عام: 748هـ / 1348م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الثانية، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/1993م.
12. .....: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م.
13. .....: سير أعلام النبلاء، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة: الثالثة ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405 هـ / 1985 م.

14. .....: العبر في خبر مَن غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون.تاريخ).
15. السُّلمي:(محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابوري، المتوفى عام: 412هـ / 1021م): طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت، 1419هـ/ 1998م.
16. السمعاني: (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، المتوفى عام: 562هـ / 1166م): الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت،1408هـ / 1988م.
17. السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى عام: 911هـ/1505م): حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة،1418هـ / 1988م.
18. الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، المتوفى عام: 764هـ / 1362م): الوافي بالوافيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م.
19. ابن عبد الحكم: (المتوفى عام: 257هـ / 871م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الطبعة: الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،1999م.
20. ابن عذارى المراكشي:(المتوفى نحو: 695 هـ / نحو 1295 م) البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان، وليفي بروفنسال، الطبعة: الرابعة، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
21. ابن عساكر:(علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي، المتوفى عام: 571هـ/ 1125م): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، الطبعة: الأولى، دار الفكر، بيروت، 1419هـ/ 1998م.
22. ابن العماد: (عبد الحي بن أحمد بن محمد، المتوفى عام: 1089هـ/ 1678م): شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، وآخر، الطبعة: الأولى، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/1985م.
23. الفاكهي:(محمد بن إسحاق المكي، المتوفى عام: 353 هـ /964 م): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله دهيش، الطبعة: الثانية، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، 1414هـ / 1994م.

24. القشيري:(أبو القاسم القشيري النيسابوري، المتوفى عام: 465 هـ /1073م): الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1409هـ / 1989 م.
25. ابن كثير:(عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي، المتوفى عام: 776هـ/ 1364 م): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ / 1988م.
26. ابن ماكولا: (علي بن هبة الله بن أبي نصر، المتوفى عام: 475هـ/ 1082م): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/ 1990م.
27. المقريزي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، المتوفى عام: 845 هـ /1141م): المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1411 هـ/ 1991م.
28. ياقوت الحموي:(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، المتوفى عام: 626هـ / 1229م): معجم البلدان، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م.

ثانيًا: المراجع العربية:

29. أحمد أمين: فجر الإسلام، الطبعة: الأولى، النهضة المصرية، القاهرة، 1964م.
30. .....: ضحى الإسلام، الطبعة: الأولى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2002م
31. إسماعيل البغدادي:(باشا): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف، استانبول، 1955م.
32. حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [بدون ـ تاريخ].
33. الزركلي(خير الدين): الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة : الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت،1980م.
34. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ـ تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [بدون ـ تاريخ].
35. فؤاد سزكين: (دكتور): تاريخ التراث العربي، ترجمة: د. محمود فهمي حجازي وآخرون، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1311هـ/ 1991م.

36. محمود محمد خلف:(دكتور): الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، بين حقائق المؤرخين وأوهام المستشرقين، دار المعارف، القاهرة، 2015م.
37. .....: دور قبيلة تُجيب العلمي والإداري في مصر، من الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود بالسعودية. العددان:(31 ـ 32)، 1436 ـ 1437هـ/ 2015 ـ 2016م.
38. هويدا عبد العظيم رمضان:(دكتورة): المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م.

الهوامش:

(1) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص: 145.

(2) هو: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ، وبه يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. وقد عده الإمام السيوطي العلم الثامن من العلوم المتعلقة بدراسة القرآن الكريم. الإتقان في علوم القرآن، جـ1 ، ص444، أما عن نشأة هذا العلم و تطوره ، انظر على سبيل المثال: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ1 ، ص 412، حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ2، ص 1317 وما بعدها، د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، جـ1، ص 13.

3(3) د. هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص131.

(4) قبيلة تجيب إحدى القبائل العربية التي هاجرت من اليمن ونزلت في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم شاركت في حركة الفتوحات الإسلامية، وكثيرهم نزل مصر، وقليلهم واصل طريقه إلى بلاد المغرب والأندلس، وكان لهم نشاط علمي وإداري كبير في الدولة الإسلامية. لمزيد من التفاصيل، انظر: د. محمود محمد خلف: دور قبيلة تُجيب العلمي والإداري في مصر من الفتح الإسلامي حتى القرن الرابع الهجري، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود بالسعودية. العددان:(31 ـ 32)، 1436 ـ 1437هـ/ 2015 ـ 2016م.

(5) ابن الجزري: غاية النهاية ، جـ1، ص 53.

(6) ابن الجزري: غاية النهاية ، جـ1، ص 16.

(7) ابن الجزري: غاية النهاية ، جـ1، ص129.

(8) ابن الملقن: المقنع في علوم الحديث، جـ1، ص 41.

(9) زين الدين العراقي: شرح التبصرة والتذكرة على ألفية العراقي، جـ1، ص 105، وكتابه: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، ص: 20.

(10) انظر ـ على سبيل المثال ـ : السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، جـ1، ص 26، السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جـ1، ص 59، مصطفى حسني السباعي: السُّنة ومكانتها في التشريع، ص

103 وما بعدها. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: السُّنَّة النبوية، مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها، ص 93 وما بعدها.

(11) السمعاني: الأنساب ، جـ4، ص 452، ابن حجر: تبصير المنتبه، جـ 1، ص 268، الزبيدي: تاج العروس، جـ 13، ص 367.

(12) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ 12، ص 36.

(13) ابن حجر : تهذيب التهذيب، جـ 12، ص 205، و كتابه : لسان الميزان ، جـ 3، ص 277.

(14) ابن ماكولا: الإكمال ، جـ 1، ص 399، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 7، ص 47.

(15) السيوطي: حُسن المحاضرة ، جـ 1، ص 95.

(16) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ 13، ص 70، النووي: تهذيب الأسماء واللغات، جـ 3، ص 162.

(17) العيني: مغاني الأخيار، جـ 5، ص 354.

(18) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، جـ 1، ص 106.

(19) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ 3 ، ص 100 .

(20) الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ 26 ، ص 88 .

(21) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ 16 ، ص 117 .

(22) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ 21 ، ص 218 .

(23) السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص 379 .

(24) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ 16 ، ص 117.

(25) الزركلي : الأعلام ، جـ 3 ، ص 98 .

(26) الذهبي : العبر ، جـ 1 ، ص 146 ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ 3 ، ص 12 .

(27) سير أعلام النبلاء ، جـ 16 ، ص 117 .

(28) النجوم الزاهرة ، جـ1 ، ص 387 .

(29) كحالة : معجم المؤلفين ، جـ 4 ، ص 227 .

(30) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ 3 ، ص 100 .

(31) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ 21 ، ص 218 .

(32) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ 16 ، ص 117.

(33) تاريخ الإسلام ، جـ 26 ، ص 88 .

(34) إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، جـ 1 ، ص 389 ، د. فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، م 1 ، جـ 1 ، ص 379 .

(35) حاجي خليفة : كشف الظنون ، جـ 2 ، ص 1006 .

(36) الكتاني : الرسالة المستطرفة ، جـ 1 ، ص 21.

(37) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ 21 ، ص 218 .

(38) الزركلي : الأعلام ، جـ 3 ، ص 98 ، كحالة : معجم المؤلفين ، جـ 4 ، ص 227 .

(39) السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص 379 .

(40) تذكرة الحفاظ ، جـ 3 ، ص 100.

(41) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ 16 ، ص 117 .

(42) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ 3 ، ص 12.

(43) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ 1 ، ص 387 ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص 380 .

(44) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ 4 ، ص 135. 138 ، الزركلي : الأعلام ، جـ 5 ، ص 257 .

(45) ابن خلدون : المقدمة ، جـ 3 ، ص 954 .

(46) الخضر حسين : تاريخ التشريع الإسلامي ، ص 167 .

(47) القَيْرَوَان: مدينة عظيمة بإفريقية، مصرّت في الإسلام في أيام معاوية بن أبي سفيانﷺ. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، جـ4، ص 420، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ3، ص1139

(48) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 22، ص 76.

(49) ترتيب المدارك، جـ 1، ص 344.

(50) الديباج المذهب، جـ 1، ص 18.

(51) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ 1، ص 61.

(52) هويدا عبد العظيم: المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ1، ص175.

(53) ابن الجوزي: المنتظم، جـ 2، ص 427، المقريزي: المقفى الكبير، جـ 3، ص 736.

(54) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ3، ص 96، وكتابه: تبصير المنتبه، جـ1، ص 489.

(55) العجلي: معرفة الثقات، ص 28، العيني: مغاني الأخيار، جـ 1، ص 261.

(56) عَنَّ لَهُ الأمرُ: عَرَض، ظهر، خَطَر في بالِه. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جـ2، ص 632، أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، جـ2، ص 1565.

(57) إِفْرِيقِيَّة: هو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة، قبالة جزيرة صقلية، وينتهى آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، والجزيرتان في شمالها، وصقلّية منحرفة إلى الشرق والأندلس إلى الغرب، سمّيت بإفريقية نسبة إلى إفريقس بن أبرهة الرائش. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص 228، البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 100.

(58) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ 9، ص 121، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص 465، وكتابه: العبر، جـ 1، ص 31.

(59) صحيح مسلم(8 / 270) رقم(2979)، سنن أبي داود(9 /186) رقم(2908) (9 / 187) رقم(2909)(9 /424) رقم(3074)(11 / 334) رقم(3720)، سنن الترمذي(5 /44) رقم(1176)(11 /407) رقم(3424) (11 /407) رقم(3424) ، سنن النسائي(5 /154) رقم(1327)(14 /133) رقم(4497)(14 / 134) رقم(4498)، مسند أحمد بن حنبل تعليق شعيب الأرنؤوط في (17) موضعًا.

(60) السيوطي: حُسن المحاضرة، جـ1، ص 95.

61() الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، جـ2، ص 22.

(62) لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص 115.

(63) الفسوي: المعرفة والتاريخ، جـ 3، ص 281، ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ 1، ص 101، 193، جـ 2، ص 274، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ 2، ص 114،43، 455، ابن الجوزي: المنتظم، جـ1، ص 425، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، جـ 2، ص 458، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ 2، ص 319.

(64) الأصفهاني: تاريخ أصفهان، جـ4، ص 90، ابن الأثير: أُسْد الغابة، جـ2، ص 397، القاسم بن سلام: الأموال، ص 141.

(65) ابن قتيبة: عيون الأخبار، 2003م، جـ1، ص 240، الأصفهاني: طبقات المحدثين بأصبهان، جـ4، ص 388.

(66) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ3، ص 340.

(67) الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، جـ1، ص 276، 277، 402.

(68) يحيى بن معين : تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري، جـ1، ص 43، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ2، ص 275، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ8 ، ص 369.

(69) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، جـ 3، ص 69.

(70) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة ، جـ 4، ص 1181.

(71) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ6، ص 280.

(72) لمزيد من التفاصيل انظر ـ على سبيل المثال ـ أحمد أمين : ضحى الإسلام، جـ2، ص 321 ـ 322، عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص 155 ـ 162.

(73) السمعاني: الأنساب، جـ3 ، ص 252 وجـ5 ، 333، الذهبي: تاريخ الإسلام ، جـ8 ، ص324.

(74) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ5 ، ص 214، الصفدي: الوافي بالوافيات، جـ4 ، ص340.

(75) ابن الأثير: أُسد الغابة ، جـ3، ص213، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة،جـ3، ص376، السيوطي: حُسْن المحاضرة ، جـ1، ص 82.

(76) ابن حجر: الإصابة، جـ1 ، ص 417.

(77) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ2 ، ص 235.

(78) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ 3 ، ص 92، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ1، ص 52.

(79) العجلي: معرفة الثقات، جـ1 ، ص 28، ابن حبان: الثقات، جـ4، ص 178.

(80) الجرح والتعديل، جـ3 ، ص 275 ، فتحي عبد الفتاح: تاريخ ابن يونس الصدفي، جـ1، ص 144.

(81) حُسْن المحاضرة، جـ1، ص298.

(82) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ5 ، ص 214، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ4 ، ص 340.

(83) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج2، ص 293.

(84) التاريخ العربي والمؤرخون، ج2، ص147.

(85) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، الصفحات:(173،158،139،127،102،101،82،74،33،32،1.... إلخ).

(86) ابن خلدون: المقدمة، ج 3 ، ص 989 .

(87) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ج2، ص 316 .

(88) القشيري: الرسالة القشيرية، ص 466 .

(89) الجامي: نفحات الأنس، ص 385.

(90) طبقات الصوفية، ج 1، ص 373.

(91) ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص 52.

(92) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 109.

(93) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج41، ص 285.

(94) السُّلمي: طبقات الصوفية، ج 1، ص 373.

(95) هي: مدينة حسنة، تقع على الضفة الشمالية لنهر جيحون بالقرب من مصب نهر سُرْخان. و دمرت المدينة أثناء الثورة الروسية، ثم أعيد بناؤها من جديد، وتسمى حاليًا ترمز، وهي إحدى مدن جمهورية أوزبكستان الحالية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 441، محمود محمد خلف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، ص 32.

(96) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج41، ص 285.

(97) الجامي: نفحات الأنس، ص 277.

(98) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج26، ص 164.

(99) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج41، ص 285.

(100) الجامي: نفحات الأنس، ص 385.

(101) السيوطي: حُسن المحاضرة، ج1، ص 443.

(102) السُّلمي: طبقات الصوفية، ج1، ص 373، ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص 52.

(103) ابن الملقن ، ص 137.

(104) السُّلمي: المصدر السابق، نفس الجزء، نفس الصفحة.

(105) نفحات الأنس، ص 386.

(106) هو: أحمد بن عمر بن يوسف بن جوصا، أبو الحسن الدمشقي، الإمام الحافظ النبيل، محدث الشام، سمع بمصر والشام، وجمع وصَنَّف وتكلم في العلل والرجال، توفي في جمادى الأولى سنة(320هـ/ 932م). الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 16 ـ 18.

(107) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 41، ص 287.

([108]) ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص 138.

([109]) الجامي: نفحات الأنس، ص 386.

([110]) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ41، ص 287.

([111]) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ26، ص 164، وكتابه: سير أعلام النبلاء، جـ16، ص 109.

([112]) السُّلمي: طبقات الصوفية، جـ1، ص 375.

([113]) الجامي: نفحات الأنس، ص 386.

([114]) السُّلمي: المصدر السابق، نفس الجزء، نفس الصفحة.

([115]) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ41، ص 286.

([116]) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ16، ص 109.

([117]) السُّلمي: طبقات الصوفية، جـ1، ص 273، ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص 137، الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ26، ص 164.

([118]) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، جـ41، ص 287، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ16، ص 109.